جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

التقديم و التأخير بين النحو و البلاغة

الجملة الفعلية عند عبد القاهر الجرجاني أنموذجا

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:
- وفاء خضراوي
- ياسمينة اسعون

إشراف الأستاذة:
زينـة مـــــدواس

السنة الجامعية: 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

الشمعة المنيرة لظلمتي الموجهة لطريقي.....أمي.

إلى نور أمنياتي.....أبي.

إلى الذي أنار درب حياتي ورمز العمل و المثابرة من اجل الأهداف النبيلة زوجي العزيز فريد.

إلى إخواني: توفيق و فيصل وأحمد،وأخواتي:نادية،أمال،حسيبة،والكتكوتة حنان،وأولادهن: أنفال،ياسر،ملاك،سراج،آدم، تسنيم ،و الكتكوت محمد.

إلى من كانت لي رفيقة ،ياسمينة،و إلى أختي وصديقتي الغالية فاطمة {فافا}.

وكلُ رفيقاتي في الحي الجامعي: دهية ، أمينة ،سامية ، حياة ،لامية ،صبرينة ، نوال .

وفاء

الإهداء

إلى من نتمنى رضاهم الوالدين الكريمين .

إلى من لم يُفارقني تشجيعهم طوال مشواري الدراسي أخواتي وردة ، صافية ، زهرة ، صورية و إخواني نذير ، عبد العزيز .

إهداء خاص إلى أبناء أخواتي: أيمن ،محمد لمين ،لوناس و بنات عمي شهيناز ، راضية.

إهداء إلى كل العائلة أدام الله أفراحها .

إهداء إلى كل محب للعلم

إهداء إلى كل صديقة مخلصة عرفتها طوال مشواري الدراسي ، خاصة زميلتي وفاء التي تقاسمت معي صعاب العمل .

إهداء إلى بنات خالي شهرزاد ، زينة ،إيناس .

اهدي ثمرة جهدي إلى كل من يعرفني

ياسمينة

شـــكر وعرفـــان

بداية الشكر والحمد للّه على توفيقه لنا

نتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذتنا المحترمة والقديرة التي أشرفت على بحثنا هذا، وتابعة مختلف مراحله مصححة وناصحة.

كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى كل أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي، وإلى كل من تفضل وأبدى لنا نصيحة أو رأيا أو قدم لنا مشورة علمية أفادت البحث.

وفاء و ياسمينة

مقدمـــــــــــة

مقدمة

تعتبر اللغة العربية أشرف اللغات وأعلاها مكانة،فبها أنزل القرآن الكريم الذي زاد من رفعتها وانتشارها في العالم الإسلامي وغيره ،حيث أولوها العرب اهتماما كبيرا كونها لغة الدين،مما جعلهم يحرصون عليها من إحداث أي تغيير لها ،بسبب تفشي ظاهرة اللحن التي نشأة أساسا من تداخل الكثير من الجنسيات كاختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم ،كالفرس،والروم،والترك.

فالعرب لمّا وضعوا علوما للغة كان هدفهم المساهمة في المحافظة على القرآن الكريم،ومن هذه العلوم نذكر علم النحو الذي نال اهتمام الكثير من علماء اللغة،حتى قيل بأنه القانون الذي يحكمها ومن أبرز المسائل النحوية التي تناولها النحاة مسألة التقديم والتأخير،التي تعني مخالفة النسق الأصلي للتركيب، أي إعادة صياغة الجملة بأسلوب جديد .

إلا أن انقسام أئمة النحو نظرا لخلاف وجهات النظر بدأ يحد من تطوره ، وفتح باب الاجتهاد للآراء الجديدة التي تخالف ما جاء به أصحاب مدرسة البصرة والكوفة ،فظهر اتجاه جديد مع ابن جني وغيره يبحثون عن الأصول العامة للنحو ،وسار عبد القاهر الجرجاني على الدرب نفسه لغرض اكتشاف النظام العام الذي يحكم اللغة من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، و من العلوم أيضا التي لا تقل أهمية عن الأول :علم البلاغة الذي يعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ولما كان مبحث التقديم والتأخير مبحث يجمع بين علمي النحو والبلاغة ،فقد سعى كل منهما إلى اكتشاف دلالة هذا الأسلوب والأهداف التي تنجر عنه عند مخالفة النسق الأصلي للتركيب.

إن أسلوب التقديم والتأخير هو أحد أركان علم المعاني الذي نال اهتماما بالغا من النحاة والبلاغيين حيث تطرقوا إليه في أكثر من موضع ،و هذا بغرض الوصول إلى الصيغة الحقيقية له

و لعل أول من أشار إلى ظاهرة التقديم والتأخير هو زعيم النحو "سيبويه" (ت180هـ) وبعده تطرق لهذا الأسلوب غيره من النحاة ،للتعمق فيه.

أما إذا جئنا إلى الحديث عن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع نذكر منها على سبيل المثال:

1-إدراك الصلة التي تربط علم النحو بعلم البلاغة.

2-التعمق في نظرية النظّم عند شيخ البلاغة العربية(عبد القاهر الجرجاني) وكيف ساهم في الجمع بين النحو والبلاغة.

3- بيان أسلوب التقديم والتأخير عند الجرجاني أنموذجا.

أما بالنسبة لأهمية الموضوع فكان أبرزها :

1-إعادة صياغة الجملة بمخالفة النسق الأصلي لها.

2-إعطاء رونق فني للتركيب .

3-بناء معنى جديد للجملة.

أمّا فيما يتعلق بخطة البحث، فبحثنا يتكون من مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة، فالمقدمة و كأنّها حوصلة عامة عن الموضوع، المدخل يندرج تحته، مفهوم التقديم لغة، و مفهومه اصطلاحا، مفهوم التأخير لغة، و مفهومه اصطلاحا، ثمّ التعريف به كمصطلح واحد أي مفهوم التقديم و التأخير، فيما بعد يأتي التفصيل فيه أي نخصص الحديث عنه عند كل من النحاة و البلاغيين.

أما الفصل الأول فتناولنا فيه تعريف النحو لغة و اصطلاحا و كذا تعريف البلاغة لغة و اصطلاحا و الجمع بينهما هو الذي يشكل نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني حيث بيّن فيها مدى ارتباط العلمين ببعضهما البعض و الصلة الموجودة بينهما.

أمّا الفصل الثاني فخصصناه للحديث عن ظاهرة التقديم و التأخير في (الجملة الفعلية) عند عبد القاهر الجرجاني و التفصيل فيه: كبيان أقسام التقديم، – تقديم على نية التأخير، تقديم لا على نية التأخير، التقديم و التأخير في النفي، التقديم و التأخير في الاستفهام.

أما فيما يخص أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها ، يمكن أن نذكر :

1–دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .

2–أسرار البلاغة للزمخشري .

3– الكتاب لسيبويه .

4– المفتاح للسكاكي .

أما فيما يخص أهم الصّعوبات:

1–ضيق الوقت بسبب الإضراب الطويل.

2–تشعب قضية التقديم والتأخير.

أما خاتمة هذا البحث فكانت عبارة عن جلّ النتائج التي توصلنا لها، حيث أبرزنا الاهتمام الذي نالته ظاهرة التقديم و التأخير عند كل من النحاة و البلاغيين.

و يمكن القول أن ليس هناك اختلاف في تناول هذا الأسلوب بين القديم و الحديث ،لأن المصادر و المراجع التي يُعتمد عليها تكاد أن تكون نفسها :ككتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني و الكتاب لسيبويه ...الخ

و في الأخير أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث : الأستاذة المشرفة و كل أفراد العائلة.

مدخـــــــــل

تعتبر اللغة ظاهرة إنسانية غايتها تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع الواحد،أو بين مجتمع وآخر،حيث بواسطتها يمكن للفرد أن يعبر عن أغراضه وحاجاته وهذا استنادا إلى تعريف ابن جني للغة " حدّ اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم ."[1]

فعملية التواصل لا تقتصر على اللغة فقط بل هناك وسائل وطرق تساهم في تبادل المعارف والمعلومات منها :لغة الإشارات و الرموز...

و لقد حظيت اللغة منذ القدَم باهتمام كبيرا من طرف علماءها ،و هذا في جميع جوانبها و فروعها :كعلم النحو الذي يُعد القانون الذي يحكم اللغة ،و علم الصرف و علم البلاغة التي تنقسم بدورها إلى ثلاثة علوم وهي :علم المعاني ، علم البيان ،علم البديع ،الذي يندرج تحته مسائل بلاغية كثيرة :كمسألة الفصل و الوصل ،الإيجاز و الإطناب ،التقديم و التأخير الذي هو محور بحثنا المعروف في الدرس البلاغي العربي ، حيث تطرق إليه العديد من علماء اللغة و هذا باختلاف أزمنتهم و اتجاههم .

إن مبحث التقديم والتأخير يحتاج إلى الوقوف عليه لفهم بعض أسراره،و اكتشاف مدى الأهمية التي أولاها كل من النحاة و البلاغيين له ،و طريقة عرض كل واحد منهم و هذا ما سمح بدوره بتعدد أساليب الطرح .

و يمثل مبحث التقديم و التأخير إحدى خصائص اللغة العربية الواردة في الأدب و القرآن الكريم و الحديث الشريف ،إذ تختلف دلالته من موضع لآخر لاختلاف السياق الذي ورد فيه. فالتقديم و التأخير يتمحور أساسا حول مُخالفة النسق الأصلي للجملة العربية ، التي لا تتميز بحتمية ترتيب عناصر جملها ،وسنعرض فيما يأتي تعريف التقديم والتأخير بمفهومهما اللغوي والاصطلاحي،ومفهومه بشكل عام ،وإلى طريقة تناول النحاة والبلاغيين له.

[1]- ابن جني،الخصائص،تحقيق محمد علي النجار،دار الكتب ،القاهرة،ج1،ت1952،ص33.

1-تعريف التقديم:

أ-لغة:قال ابن منظور(ت711ه):"القدم و القدمة ،السابقة في الأمر،و تقدم ،وقدم،و استقدم ،تقدم ،ومنه قوله تعالى{وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم } "يونس:2".أي سابقة خير و أثر حسن"[1].

أما الزمخشري(ت528ه) فقد قال في كتابه أساس البلاغة:"وأقدم،بمعنى تقدم،ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة،و الإقدام في الحرب"[2].

وفي معجم المفصل في علوم البلاغة يتجلى مفهوم التقديم على أنه "من قدم الشيء،أي وضعه أمام غيره."[3]

ب-اصطلاحا:

استطاع علماء العرب أن يقدموا مفهوماً اصطلاحياً للتقديم،ويحددوا خصائصه الفنية،فقد بيّن ابن الأثير(ت630ه) أن "التقديم في بعض أي القرآن الكريم هو التفنن في القول و مراعاة نظم الكلام،وفواصل الآيات".[4]

فالتقديم عنده ليس للاختصاص فحسب،و إنما لتأليف الكلام،فلو قال في الآية الكريمة {نعبدك و نستعينك}"سورة الفاتحة:5.لم يكن له من الحسن ما لقوله{إياك نعبدك،و إياك نستعين}"سورة الفاتحة:3.وهذا لمراعاة نظم الكلام في الترتيب النحوي.

كما يقول الزملكاني(ت651ه) :"التقديم في اللسان تبع للتقدم في الجنان"[1] بأن كل تقديم و تأخير في العمل الأدبي إنما يهدف الأديب من ورائه إلى الوصول إلى غايته التي من أجلها أنشأ

[1]-ابن منظور،لسان العرب،منشورات على بيوض ،ج12،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1،ت2003،ص546.
[2]-الزمخشري،أساس البلاغة،تحقيق محمد باسل عيون السود،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،ت1998،ص58.
[3]-إنعام فوال عكاوي،المعجم المفصل في علوم البلاغة،البديع،و البيان،و المعاني،بيروت،ط2،ت1996،ص411.
[4]-ابن الأثير،المثل السائر،تر،أحمد الحوفي و بدوى طبانة،دار للطبع و النشر،القاهرة،دط،دت،ص60.

عمله،وقد تتجمع عدة دوافع من أجل إخراج الأسلوب على الترتيب الذي أراده صاحبه،وأن للتقديم أسباب مختلفة حيث أن الألفاظ كما يقول تبع للمعاني ،و المعاني تتقدم باعتبارات الأسباب منها(العلة،الذات الرتبة...الخ،وقد أشار أيضا إلى أن تقديم الكلمة و تأخير الأخرى من أجل خفة القراءة و سهولة النطق.

2-تعريف التأخير:

أ-لغة:ورد في لسان العرب أن:"مادة (أ،خ،ر) المؤخر هو الذي يؤخر الأشياء،فيضعها في مواضعها وهو ضدّ التقديم،وأن التأخير في أنه أخرته،فتأخر،واستأخر،كتأخر، ومنه قوله تعالى:{ ولقد علمنا المستقدمين منكم،و لقد علمنا المستأخرين}"سورة الحجر:24."[2]

ب-اصطلاحا:

التأخير مصدر الفعل"أخر" وهو في اللغة خلاف التقديم،و في الاستعمال النحوي حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة،و توجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل،وذلك كالمبتدأ فإن موضعه في أول الجملة،وبدايتها مثل:"الكتاب فوق الدرج" فالكتاب مبتدأ،فقد يطرأ عليه ما يوجب تغيير حكمه من التقديم و التأخير،فيقال:"فوق الدرج كتاب" وهنا يكون المبتدأ مؤخرا".[3]

نفهم من خلال ما تقدم أن نظام الجملة العربية لا يتميز بحتمية المحافظة على رتبه الخاصة،و إنما تدخل عليها أساليب تجعل الجملة (الفعلية،الاسمية) تخالف النسق الأصلي لها.

---

[1]-ينظر: منير محمود المسيريّ ، دلالات التقديم و التأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية،القاهرة،ط1،ت2005،ص49.
[2]-ابن منظور،لسان العرب،ص546.
[3]-سمير نجيب اللبدي ،معجم المصطلحات النحوية و الصرفية ،عمّان،ط1،1985،ص9.

3-مفهوم التقديم و التأخير:

يعتبر علم البلاغة من أبرز العلوم التي اهتم بها علماء اللغة ،و هذا نظراً لما تتوفر فيه من علوم أساسية في المجال اللغوي و تتمثل هذه الفروع في :علم المعاني ،علم البيان ،و علم البديع ،و يندّرج أسلوب التقديم والتأخير ضمن أحد مسائل علم المعاني ،و الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بقصد المتكلم و حال المُخاطب والظروف المحيطة بالكلام .

ومما يدل على أن ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة عامة أنها تقع في كثير من نظام الجملة العربية والتي تتألف من الجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل، و الثانية الاسمية و هي التي تبدأ بالاسم و والنوع الثالث و هي تبدأ بظرف أو جار ومجرور.

ولكن نظرا لحالات يقتضيها السياق أو المقام تغيّر الألفاظ مواقعها ،حيث تنتقل من مواقعها الأصلية إلى مواقع أخرى متبوعة حتماً بتغيير على مستوى المعنى،و هذا ما يتضح من خلال هذا القول:"يعد أسلوب التقديم و التأخير متغيّراً أسلوبياً لأنه عدول عن القاعدة العامة ،و ذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يطلبه المقام ،إذ يكون هذا العدول بمثابة منبه فني يعمد إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميّزة ."[1]

كما أن آلية التقديم و التأخير هو تجسيد لكثير من المباحث البلاغية ،كالطباق ،و الجناس على سبيل المثال قوله تعالى:{ وأنّه هو أضحك و أبكى و أنّه هو أمات و أحيا }."سورة النجم"43.حيث قدم الضّحك على البكاء و الإحياء على الإماتة ،دلالة منه أن الفرح يعقبه القرح.

ومن الذين اهتموا بمبحث التقديم و التأخير نجد الزمخشري الذي يقول:"فالتقديم و التأخير يتمحور أساساً حول تجاوز الرتب المحفوظة (التي تعنى أن نظام الجملة الفعلية و الاسمية يحتفظ بمواقعه

[1]-ينظر:محمد عبد المطلب،البلاغة و الأسلوبية ،الشركة العلمية للنشر،لبنان،ط1،ت1994،ص200.

ولا يغيّر من مواقعه الأصلية)،في القواعد النحوية بالنسبة للنحاة ،أما البلاغيين فإن اهتمامهم لا ينصب على الرتب المحفوظة بشكل كلّي ،و إنما بالمقدار الذي يساعد على تحديد كمية العدول ،والتي تعني الخروج عن النمط المعتاد ،و هذا من خلال تدخل عوامل نفسية تساهم في الكشف عن عملية التخاطب ،كتشويق السامع أو التفاؤل... "[1]

فهذا القول دليل على أن النحاة كان اهتمامهم ينصب على الرتب المحفوظة ،على خلاف الأمر عند البلاغيين الذين لا يهتمون بالرتب المحفوظة بشكل كلّي،ويمكن القول:"بأن البلاغيين قد أدركوا أن اللغة العربية تتميز بعدم حتمية ترتيب أجزاء الجملة ،بالرغم من هذا نجدهم يفترضون أصل في التركب يقاس إليه العدول عنه ،ففي الحديث عن المسند إليه يرون أن أصله التقديم و لا مقتضى للعدول عنه إلا لأغراض حدودها ووصفوها".[2]

فالبلاغيين أدركوا أن اللغة العربية لا تحتفظ بترتيب عناصر الجمل ،إلا أنهم يرون في المسند إليه وجوب التقديم ،إلا لحالات يقتضيها السياق.

ولقد ذكر الزمخشري أن التقديم و التأخير يساهم في تحقيق أغراض بلاغية تضفي على النص جمالية و رونقاً فنياً و هذا يتضح من خلال قوله:"إن التقديم و التأخير يأتي لتحقيق أغراض بلاغية ،و منها الاختصاص إذ ما قلنا في معظمها، ففي المثال التالي "زيد ضربتُ" قد أفاد الاختصاص لأن أصله :"ضربتُ زيدًا " ومن الأمثلة التي توضح وجود الاختصاص قوله تعالى:{ إيّاك نعْبُد و إيّاكَ نستَعين }"الفاتحة الآية 5،أي تخصه بالعبادة و لا نعبد غيره. كما نلاحظ أيضا تقدم متعلق الفعل عليه يدل على اختصاص الفعل بهذا الفعل المتقدم، و هو يُحدث نوعاً من التناسب بين ما يقوله المتكلم وما قاله المتلقي ."[3]

[1]-الزمخشري،الكشاف، تر الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوّض ،دار النسر والطبع،ج2،الرياض،ط1،ت1998 ص303.
[2]-المرجع نفسه،ص304.
[3]-ينظر: الزمخشري ،الكشاف،ص304.

أما فيما يتعلق الأمر بطريقة تطرق علماء اللغة ،لمسألة التقديم و التأخير فنلاحظ أن هناك اختلافا بينهم و هذا راجع إلى فهم كل واحد منهم لأسلوب التقديم و التأخير ،الذي فسح المجال بدوره بتباين منهجيات الدراسة ،وما يمكن ملاحظته مبدئياً هو تداخل الطرح النحوي مع الطرح البلاغي ،وهذا نظرا إلى كون المبحث _ بلاغياً_ امتدادا لنظيره النحوي ،وهذا يتطلب السعي حثيثاً لفصل مبحث (التقديم و التأخير) البلاغي من الجوانب النحوية المتداخلة مع الجوانب البلاغية ، بهدف الوصول إلى الصيغة الحقيقية التي يجب أن يُطرح بها هذا المبحث بلاغياً.

و سنعرض فيما يأتي كيفية تناول كلُ من النحاة و البلاغيين لهذا الأسلوب (التقديم و التأخير).

أ–مفهوم التقديم و التأخير عند النحاة:

يُعد مبحث التقديم والتأخير من الأساليب العربية التي أولاها العلماء أهمية بالغة ،و هذا لما فيه من مُخالفة للنسق الأصلي للجملة العربية على أساس أن مُفرداتها مُرتبة ترتيبا يَستند إلى قواعد نحوية ، و إن إحداث تغيير على مُستوى المُفردات ينجر عنه تغيير على مستوى المعنى .

و سنعرض في هذا الجُزء بعض آراء النُحاة في قضية التقديم و التأخير و من بين هؤلاء سيبويه صاحب كتاب " الكتاب " الذي يُعد أول كتاب تناول العربية في مُختلف عُلومها و فروعها ،و لا يزال حتى الآن مصدرا لكثير من المباحث ، منها مبحث التقديم والتأخير الذي علل له في أكثر من موضع ،إذ يمكن اعتبار سيبويه(ت180ه) أول من طرق سرّ هذا النوع البلاغي ،و أول من توغل فيه و هذا ما صرح به الأديب الرّضي(ت406ه) ،فالتقديم و التأخير عند سيبويه هو أن تخالف الألفاظ مواقعها في الجُملة ، و يوضح ذلك بأقواله ،منها:"إن قدمت المفعول و أخرت الفاعل جرى اللفظ في الموضع ".[1]

[1]-سيبويه ،الكتاب ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ج1، دار الجيل،بيروت،ط3،ت1991،ص14-15.

معنى ذلك أن تغيير مواقع الألفاظ داخل التركيب ليس له تأثير على نظام الجملة ،و يقول أيضا في تقديم المفعول على الفعل:" وإن قدمت الاسم فهو عربي جيّد ، كما كان ذلك جيّداً (أي تأخيره وذلك كقولك :"زيداً ضربتُ" ، و الاهتمام و العناية هاهنا في التقديم و التأخير سواء مثله في "ضرب زيد عُمرا وضرب عُمرا زيد" .[1]

نفهم من خلاله تساوي حالتي تقديم المفعول على الفعل ،أو الفعل على المفعول ، واقتصار أمر العناية و الاهتمام فيهما،و يقول في باب كان :"إن شئت قلت:" كان أخاك عبد الله ... وحال التقديم و التأخير فيه كحال ضرب"[2] أي تساوي حالة الفعل كان مع الفعل ضرب في التقديم و التأخير، فالتقديم عند سيبويه يكون للعناية و الاهتمام بالمقدم ،سواء تقدم المفعول به على الفاعل أم على الفعل و الفاعل معاً ،أم على كان .

إنّ التقديم كما ذكر سيبويه يأتي لسرّ بلاغي ،ولحسن النظّم فإنه قد يكون كذلك سبباً في قبح الكلام ،وإن كان وفقاً لقواعد النحو إذّ يقول:"و يحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه لأنه مستقيم ليس فيه نقص ، فمن ذلك قول عمرا بن أبي ربيعة :"[3]

صددتُ فأطلت الصّدود وصال على طول الصّدود يدوم

والمقصود هو :وقل ما يدوم وصاَل.

ومن بين الذين اشتغلوا أيضا بمبحث التقديم و التأخير نجد ابن جني (ت392ه) حيث يعد واحد من أبرز أئمة النحاة ،الذين ظهروا في القرن الرابع ،الذي كان من ضمن الذين اهتموا بهذا الأسلوب البلاغي حيث أفرد له فصلاً كاملا مبينا ما جاز تقديمه وما لا يجوز تقديمه نحوياً

[1]- المرجع السابق ، ص41.
[2]-المرجع السابق ،ص21.
[3]-المرجع السابق ،ص31.

إذ يقول :"باب الشجاعة العربية، ما يجوز منه وما لا يجوز ،وما يقبله القياس وما يسهله الإضطرار ".[1]

إن ابن جني قد وافق النحويين في معالجته لهذه الظاهرة في كتابه "الخصائص" التي تحدث فيه عن القياس كتقديم المفعول به والظرف على الفاعل ،و تقديمها على الفعل إذ يقول:"من ذلك امتناعهم من تقديم في نحو: ضرب غلامهُ زيداً، فهذا لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم و إنما لقرينه انضمت إليه ،وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول ،وفساد تقدم المضّمر على مظهره لفظا و معناً ."[2]

ويقول أيضا في كثرة تقديم المفعول به على الفاعل وإنّ كانت رتبته التأخير :"فلما كثر و شاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له ،حتى إنه إذا أخر فموضعه التقديم"[3].

وما يلاحظ على رأي ابن جني أنه كان تابعاً لأبي الحسن الأخفش(ت315ه) قد جاء في شرح الكافية في النحو:"وقد جُوّز الأخفش و تبعه ابن جني نحو:ضرب غلامه زيداً،أي اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدمه، وقد استشهد بقول الشاعر: جزّى ربّه عنى عدّى بن حاتم "[4].

وما يراه ابن الحاجب(ت646ه) أن التقديم يكون للأهمية، ولكن إفادته للاختصاص أولى "والأولى أن يقال إنه يفيد القصر كقوله تعالى : { بل الله فاعبد } "الآية 63 الزمر" .

أي معناها " لا تعبد إلا الله " ،ولكن هل المعنى تقديم المفعول به ؟ للاهتمام به يقتضي كون الفاعل غير مهم ، إن الفاعل هو الأهم لأنه لا يمكن الاستغناء عنه على خلاف المفعول به

[1]-ابن جني، الخصائص،382.
[2]-المرجع نفسه،ص300.
[3]-المرجع نفسه،ص303.
[4]-المرجع نفسه، ،ص،ن.

فيمكن الاستغناء عنه فإن ذكره متأخرا عن الفاعل فذلك وضعه ، فإن قدم عليه كان خروجا به عن وضعه ،وسببه الاهتمام به ".[1]

وقد تبين استنادا إلى التراث النحوي أن للتقديم و التأخير حكمين لا ثالث لهما، يمثلان شكلين يعرض هذا المبحث من خلالهما نحوياً، وهما الوجوب و الجواز، فالوجوب هي الحالة التي لا يملك فيها المتكلم الخيار لأن هذا يستند إلى القواعد النحوية التي يجب التقيّد بها، كالضرورة الشعرية التي تستوجب على الشاعر تقديم عنصر على الآخر، على خلاف أمر الجواز الذي يفسح المجال للمتكلم التقديم و التأخير، في مختلف السياقات الذي هو فيه .

وعلى الرغم من تناول النحاة لهذا الموضوع إلا أنهم لم يركزوا على المقصد أو الهدف من وراء التقديم و التأخير و إن كانوا قد تناولوه في سياق عرضهم للقواعد النحوية بشكل عام .

أما فيما يلي سنحاول التطرق إلى معرفة انتهاج البلاغيين لأسلوب التقديم و التأخير وتعدد منهجية الدراسة فيه.

ب-مفهوم التقديم والتأخير عند البلاغيين:

التقديم و التأخير من أهم مباحث علم المعاني ،الذي يبحث في بناء الجمل ،وصياغة العبارات ،ويتأمل التراكيب لكي يبرز ما يكمن ما وراءها من أسرار و مزايا بلاغية، فقد اهتم علماء البلاغة بالتقديم و التأخير كظاهرة لغوية خاصة ،يقوم عليها علم البيان ، فعند عبد القاهر الجرجاني مثلاً يعد التقديم و التأخير "سمة من سمات النمط العالي من النظم إليه ترجع المزية و كل فضل".[2]

ومن هذا المنطلق حرص الجرجاني على المعنى النحوي فقد فصّل القول في التقديم و التأخير بأنه:"باب كثير الفوائد ،جم المحاسن،واسع التصرف..."[3]

[1]- أحمد فرجي ،التقديم و التأخير عند النحاة وشواهدهما من القرآن الكريم،رسالة الماجستير ،تلمسان ،ت1993،ص 36.
[2]-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية،دار الفكر،دمشق،ط1،ت2007،ص145.
[3]-المرجع نفسه،ص143.

و التقديم عنده نوعان: تقديم على نية التأخير ، وتقديم لا على نية التأخير، فالتقديم يمثل في تقديم الجملة ، ركيزة أساسية في بلاغتها و تحقيق غاياتها وإصابة غرض المُتكلم ،لتحقيق التواصل بينه و بين المخاطب ، لا سّيما أنه يقوم على إعادة ترتيب مُكونات الجُملة ،فيقدم ما حقه التأخير ،و يُؤخر ما حقه التقديم ،و ذلك لتحقيق أغراض بلاغية و أسلوبية .

فقد تناول السّكاكي (ت626هـ) ظاهرة التقديم والتأخير ضمن حديثه عن مباحث علم المعاني بأنه :"تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و ما يتصل بهما من الاستحسان ،و غيره ،ليحترز بالوقوف عليهما عن الخطأ في تطبيق الكلام على مَا يقضى الحَال ذكره ."[1]

فالتقديم و التأخير عنده يشكل حلقة واحدة ضمن سلسلة الحديث عن اعتبارات المسند إليه في محاولة منه لتقنين الأحوال التي يأتي عليها كل رُكن من رُكنيّ الإسناد الخبري.

أما ابن الأثير(ت637 هـ) فيرى أنه:"باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة ،فمنها ما يختص بدلالة الألفاظ على المعاني ،ولو أخر المقدم ،أو قدّم المؤخر لتغيير المعنى ،فهو اختص

بقسم من أقسام التقديم و التأخير ألا وهو تقديم المفعول على الفاعل ،اعلم أن من أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم إلا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فإنه لم يكن ،ثم علامة تبيّن أحدهما من الأخر ".[2]

مثلاً:" ضرب زيداً عمرو "، ويكون زيد هو المضروب ،فإنك إذ لم يكن النصب في "زيداً" أو ترفع عمرو وإلا لا يفهم ما أردت به ، أي المراد بذلك إيضاح حركة الإعراب.

فقد ركز الجرجاني على صحة التراكيب من حيث الخطأ،في حين أن الدرس البلاغي يبحث في الحسن و الأحسن فعلى سبيل المثال:"يتحدث عن التقديم و التأخير في الاستفهام بالهمزة ،فيرى

[1]-السكاكي ،مفتاح العلوم ، تر عبد الحميد هنداوي ،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،ت2000،ص161.
[2]-ابن الأثير،المثل السائر،تر أحمد الحوفي وبدوى طبانة،دار للطبع والنشر،القاهرة،د ط،ت،د ت،ص41.

أن قولك "أفعلت "؟ إذا كان الشك في الفعل نفسه و أن قولك "أأنت فعلت " إذا كان الشك في الفاعل من هو؟".[1]

بمعنى أن الجرجاني يوضح أنّه إذا قدّم الاسم كان الإنكار في الفاعل قوله "للرجل قد انتحل شعراً " أأنت قلت هذا الشعر؟" كذبت ، لست من يحسن مثله ،فالإنكار للقائل وليس للشعر نفسه.

كذلك الأمر في النفي حيث يدخلون في مبحث الصحة و الخطأ ،وهو مبحث نحوي لا بلاغي و يمثلون له قائلين:"فيصبح أن تقول"ما ضربت زيداً "،و "لا أحداً من الناس "، ومن الفاسد أن تقول "ما زيداً ضربت " ، "ولا أحد من الناس "، لأن تقديم المفعول يؤذن بوقوعه ."[2]

وتابع الزمخشري(ت538هـ) في الكشاف الحجة التي أرتاها عبد القاهر الجرجاني

بقوله :"قد دّل إيلاء حرف النفي على أنه الكلام واقع في الفاعل لا الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا و لذلك قال: في جوابهم "أرهطي أعز عليكم من الله ".[3]

فقد يقدم الفعل على المفعول به وغيره ككل أو الظرف والجارّ والمجرور ،و غيره لعلّة بلاغية منها. وتناوله في عبارة أخرى على أن التقديم و التأخير في الجملة الفعلية لازم الفعل و المفعول فيقول:" اعلم أنه قدّم الكلام في الإعراب على المرفوعات ،لأنها اللوازم للجملة ،و العمدة فيها والتي لا تخلو منها ،وما عداها فضلة،يستقل الكلام دونها ."[4]

ويعنى ذلك أنه قدّم الكلام على الفاعل لأن الأصل في استحقاق الرفع ،وما عداه محمول عليه على ما تقدم شرحه.

[1]-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص155.
[2]-رجاء عيد ،فلسفة البلاغة بين التقنية و التطور،دار الناشر ،منشأة معارف الأسكندرية،ط2،ص77.
[3]- ،الزمخشري ، الكشاف ،ص289.
[4]-الزمخشري ،المفصل، منشورات علي بيضون، ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،ت2001،ص200.

ويقول أيضا : "و الأصل أن يلي الفعل ،لأنه كالجزء منه،إذا قدّم عليه غيره،كان في البنية مؤخراً،ومن ثم جاز "ضرب غلامه زيدا " وامتنع "ضرب غلامه زيدا".[1]

فهنا القياس موجود في الفعل من حيث هو حركة الفاعل الأصلية ،أن يكون بعد الفاعل،والمفعول.

أما الزجاجي(ت337ه) فيقول:" أن الأشياء مراتب في التقديم والتأخير إما بالتفاضل أو الاستحقاق،أو بالطبع،على حسب ما يوجبه المعقول ."[2]

بمعنى أن التقديم والتأخير على نوعين فمنها يعد التقديم على نية، و منها التأخير على نية التقديم ولأن هذه الظاهرة أي التقديم والتأخير فيها تصرف في اللفظ، مثلا قولنا " زيداً أكرمت "،فهنا قدم "زيداً " من تأخير وقولنا "أكرم زيداً أخوه" فهنا أخّر أخوه من تقديم ،فالتركيبيّن دخل في التصرف بالتقديم والتأخير.

فما يمكن الاهتمام به في التقديم و التأخير هو ما يدخله التصرف في التعبير وهذا ما بيّنه الزمخشري بقوله : "إنما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه"[3]، هذا القول يبرز لنا أن الشيء الثابت في مكانه لا يمكن التصرف فيه ،على خلاف الأمر الشيء الذي يدخله التصرف كهمزة الاستفهام مثلا" أفعلت ذلك الأمر؟".

وما يمكن قوله عن التقديم و التأخير عند البلاغيين أنهم اهتموا بها كظاهرة لغوية خاصة، فيما يتعلق بعلم المعاني ،إلا أنهم تجنبوا الحديث عن الرتب المحفوظة ،لأن اختلالها يؤدي إلى حدوث خلل في اللغة، بسبب حفظها للنسق الأصلي للتركيب، فالبلاغيين تناولوا الرتبة غير المحفوظة، التي تتيح لهم فرصة التقديم و التأخير .

[1]-المرجع السابق،ص202.
[2]- الزجاجي ،الجمل في النحو ،تحقيق علي توفيق الحمد،دار الأمل ،د ط،ت1988،ص116.
[3]- أحمد فرجي، التقديم والتأخير عند النحاة وشواهدهما من القرآن الكريم ،رسالة الماجستير ،تلمسان ،ت1993،ص29.

الفصل الأول

النظم عند عبد القاهر الجرجاني

إن مفهوم النظّم هو تأليف الكلمات والجمل مع ترتيب للمعاني وتناسب الدلالات،وتركيب الألفاظ من حيث اتساقها وفق الكلام الموزون، بمعنى أن النظّم هو تتبع جمل نسقا دقيقا،تأتي فيها مفردات مرتبة لقواعد نحوية،فقد كان هذا المصطلح متداولا لدى النحاة والبلاغيين أمثال" الخطابي والرماني وسيبويه وابن جني وغيرهم، رغم اختلافهم حول وجهات النظر فيه، إلا أنه يبقى منهج لغوي اطلع عليه هؤلاء ،كما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني على أنه سمت من سمات النمط العالي الذي يقوم بالربط بين علمي النحو والبلاغة.أي للنحو مواطن يختص بها،كما أن للبلاغة مناطق تعرف بها ومع ذلك فهناك مواقف تحتاج إلى تركيب نحوي وبلاغي.

وسنعرض فيها مفهوم النحو والبلاغة في ضوء الاختلافات القائمة بين علمائها،وخلاصة آراء الجرجاني التي أشار إليها من خلال دراساته للنحو والبلاغة.

1-مفهوم النحو:

أ-لغة:يعرفه الزمخشري في كتابه أساس البلاغة:"النحو على أنحاء شتى ،لا يثبت على نحو واحد،ونحوت ،نحوة،وعنده نحو من مائة رجل ،وانكم لتنظرون في نحو كثيرة ،وفلان نحوي من النحاة،وانتحاه قصده،وانتحى لقرنه:عرض له،وانتحى على شقّه الأيسر:اعتمد عليه وانتحى على ،سيفه،ونحاه من مكانه تنحية فتنحى عنه،وتنّح عني ،ونحّ الدّمع عن خدّك،وناحيته،مناحاة،صارت نحوه،وصار نحوي،وأنحى عليه بالسّوط و السيف".[1]

ب-اصطلاحا: ترد كلمة النحو بمختلف المفاهيم،فقد وضحّها الرضي الأستراباذي(ت886ه) بسبب اقترانها على أنه من قبيل علاقة الجزء بالكل ، وذلك في معرض حديثه عن الكلام وتركيبه إذ يقول: "المقصود الأهم من علم النحو معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب"[2].

[1] -الزمخشري ،أساس البلاغة،ص257.

[2]- رضي الدين الأستراباذي ،شرح كافية ابن حاجب ،تح أحمد السيّد أحمد،المكتبة التوفيقية،مصر،د ط،ج1،ص21.

فلمّا كان المقصود الأهم منه هو تحصيل كيفية الإعراب سمى باسمه،ومن ثم عرّفوه بأنه"العلم الذي يبحث فيه أحوال أواخر الكلم إعرابا و بناء".[1]

ولعلّ أوضح تعريف وأشمله ما جاء به ابن جني(ت392هـ)حيث يقول:"هو انتحاء سمت العرب،في تصرفه من إعراب و غيره ،كالتثنية،و الجمع،و التحقير،و التكسير،و الإضافة،و النسب،و التركيب،و غير ذلك...وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحوا،كقولك قصدت قصدا،ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم".[2]

فمفهوم النحو يضّم الإعراب و التصريف...وغيرهما،مما يؤدي به إلى إيصال أغراض المتكلم للسامع وإفهامهإياها بأسلم لغة.يقول ابن السراج (ت316هـ) في الأصول: "النحو إنما أريد به أن ينحوا المتكلم إذا تعلمه كلام العرب ."[3] ولعل أهم التعريفات المتداولة اليوم في أوساط الدارسين للغة، " أن الإعراب وهو ما يعرف اليوم بالنحو علم بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب و البناء، أي من حيث ما يتعرض لها في حال تركيبها ،وبه يعرف ما يجب عليه أن يكون آخر الكلمة من رفع،أو نصب ،أو الجرّ ،أو الجزم، أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة ."[4]

انطلاقا من هذه التعريفات يبدو أن النحاة حين قصروا النحو على أواخر الكلمات، وعلى معرفة أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة وسلكوا به طريقاً منحرفة إلى غاية قاصرة،وضيعوا كثيراً من أحكام نظم الكلم ، وأسرار تأليف العبارة ،فطرق النفي والاستفهام والتقديم والتأخير، وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس، إلا ما كان ماساً بالإعراب أو متصل بأحكامه، وفاتهم لذلك كثيراً من فقه العربية و تقدير أساليبها.

[1]-ابراهيم مصطفي ،احياء النحو،دار الآفاق العربية،القاهرة،مصر،2003،ص1.

[2]-ابن جني، الخصائص،ص،88.

[3]- ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي،الأصول في النحو،تحقيق عبد الحسين الفتلي ،لبنان،بيروت،مؤسسة الرسالة،ط4،ت1999،ص35.

[4]- مصطفى الغلاييني ،جامع الدروس العربية،دار الحديث،القاهرة،ج1،ت2005،ص8.

ويؤكد السكاكي(ت626هـ) ذلك القول:"اعلم أن النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب،فما بيّن الكلم لتأدية المعني مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب،وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية،و أعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض و رعاية ما يكون من الهيأت إذ ذاك ، و بالكلم نوعها المفردة،وما هي حكمها".[1]

فالسكاكي يعرض لمفهوم النحو الشامل الذي يمتد إلى معرفة كيفية ائتلاف الكلم،فيما بينها انطلاقا منتتبع ما نطقت به العرب مع مراعاة الخصوصيات.

فقد أدرج السيوطي(ت911هـ)في كتابه "الاقتراح" مجموعة من التعريفات تشترك في كون النحو هو التأليف الذي ينجم عن استقراء كلام العرب حيث يقول:"النحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أجزائه التي ائتلف منها".[2]

فالنحو بمفهومه الواسع يتمثل في انتحاء سمت كلام العرب في طرق التأليف و أساليب الأداء بحسب الأغراض التي أرادوها العرب،و المعاني التي قصدوها يقول إبراهيم مصطفى "فالنحو قانون تأليف الكلام و بيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ،و الجملة من الجمل حتى تتسق العبارة و يمكن أن تؤدي معناها".[3]

وبهذا المفهوم الواسع يرتقي النحو بوصفه قوالب ثابتة تكون الألفاظ و التراكيب دون مراعاة عناصر الخطاب .أواخر الكلم و علامات الإعراب ،و بيّن أن للكلم نظما و أن رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه.

[1]-السكاكي ،مفتاح العلوم ،ص125.
[2]-السيوطي ،الاقتراح في علم أصول النحو،تح،محمد حسن اسماعيل الشافعي ،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1،1998،ص15.
[3]-ابراهيم مصطفي،احياء النحو ،ص1.

❖النحو عند عبد القاهر الجرجاني:

إن ما جاء به عبد القاهر الجرجاني هو ما يعرف "بنظرية النظم"التي رسم فيها "طريقا للبحث النحوي تجاوز هي السبيل إلى الإبانة والإفهام".[1]

فقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بالنحو و دافع عنه وتصدى لأولئك الذين هونوا من شأنه و نظروا إليه نظرة يشوها الاستخفاف، فاعتبروه"ضربا من التكلف و بابا من التعسف،وشيا لا يستند إلى أصل ،ولا يعتمد فيه على عقل و أن ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب،وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ فهو فضل لا يجدي نفعا،ولا تحصل منه على فائدة".[2]

فالنحو كما يراه الجرجاني يؤدي دورا مهمً داخل التركيب،وفي وقوفه عند السمات الجامعة و الشاملة التي تحدد العناصر المكونة لبنائية الصياغة،إذ يقول:"فهو المعيار الذي لا يبيّن نقصان الكلام و رجحانه حتى يعرض عليه،و المقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه".[3]

فالنحو هو الذي يعطي كل تركيب لغوي خصوصية جمالية،و ذلك من خلال الصياغة و التأليف ،كون الألفاظ لا تملك خصوصية إلا من وجود التركيب النحوي .

ويتمثل في إدراك المعني من وراء اللفظ كي تفهم الغرض منه.

"إذ قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها و أن الأغراض كامنة حتى يكون هو المستخرج لها"[4].

معنى هذا القول أن الحركة الإعرابية هي التي تتحكم في معني الألفاظ،إذ أن تغيير حركة يؤدي بدوره إلى تغيير المعنى،كذلك أن الإعراب هو الذي يساهم في استخراج الغايات.

[1]- البدراوي زهران،عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني،القاهرة،دار المعارف،ت1981،ص6.
[2]-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الاعجاز،ص65.
[3]-المرجع نفسه،ص82_83.
[4]-المرجع نفسه ،ص82.

كما أنه يرتبط بالنظّم ربطاً يصل إلى حدّ التلازم و اعتباره الإطار المرجعي الذي يقوم به النظم و مطابقة النظم بعلم النحو إذ يقول الجرجاني:"اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله،و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها،و تحفظ الرسوم فلا تخل بشيء منها."[1] وعلى الرغم من أن منهج عبد القاهر الجرجاني يحفل بالتّباع السابقين في الدرس النحوي كأمثال سيبويه الذي يعتد به كثيراً في المرجعية،فإن عبد القاهر الجرجاني يربط عامل النظم بالعامل النفسي في عملية إنتاج الكلام"[2].

أما قواعد النحو لم تعد لدى الجرجاني جافة مقصورة على الإعراب،وإنما أصبحت مقياساً يهتدي به في البراعة،ووسيلة من وسائل التصوير والصياغة التي يتفاوت الشعراء في التسابق فيها إذ يقول:"وإنما سبيل هذه المعاني النحوية ،سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور،والنقوش فكما أنك ترى الرجل قد تهدّى في الأصباغ ،التي عمل منها الصورة والنقش في توبة الذي نسج إلى ضروب من التخييّر والتدبّر في أنفس الأصباغ،وفي مواقعها ،ومقاديرها ،وكيفية مزجه لها ،وترتيبه إياها ،إلى ما لم يهتدّ إليه صاحبه ،فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب كذلك حال الشاعر ،والشاعر في توخيها معاني النحو،ووجوهه التي علمت أنها محصول النظّم"[3].وهكذا يبدو أن فهم عبد القاهر الجرجاني للنحو،قد أعاد للغة مكانتها ،وبيّن قدراتها العجيبة على تأدية المعاني المرادة بواسطة الصياغة الفنية الحقة،على الرغم من أن الجرجاني اعتبر النحو أساس وجود النظم وجعله الإطار المرجعي الذي يتحرك النظم بالاستناد عليه ،وبتوجيه منه ،إلا أنه تجاوز النظرة الوظيفية وهي " البحث في الخطأ والصواب الذي شغل النحويين الخلص".[4]

يقول عبد القاهر الجرجاني :" فإذا قلت "أفليس هو كلاماً قد اطرد على الصواب ،وسلم من العيب؟ أفما يكون مع كثرة الصواب فضيلة ؟قيل"أما الصواب كما ترى فلا لأنا لسنا في ذكر اللسان

[1]-المرجع نفسه،ص122.
[2]- محمد عباس ،الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ،دار الفكر المعاصر،بيروت ،لبنان،ط1،ت1999،ص66.
[3]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص70.
[4]- مصطفى ناصف،النحو والشعر ،قراءة في دلائل الإعجاز،مجلة فصول،المجلد الأول ،العددالثالث،ت1981،ص36.

والتحرز من اللحن وزيغ الإعراب فنعتد بمثل هذا الصواب ،وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيفة ،ودقائق يوصل إليها بثاقب الفكر".[1]

لأن الإمكانات النحوية لا تعني انتحال الخطأ والصواب بقدر ما تحيلنا على استغلال جمالياتها،لأن النحو كما يراه عبد القاهر الجرجاني ليس مجرد حركات إعرابية ونظام الرتب ،إنه قبل كل شيء هو نظام داخلي،يتكئ على وحدات لسانية صرفية ونحوية ،يبنى عليها القارئ معرفته بالنص.

والنحو الإبداعي كما يراه الجرجاني يتجلى في أن القرآن الكريم أبدع في النحو ،واستحدث لنفسه نحواً خاصاً به ،ونسقاً من الأداء ليس مألوفا في غيره من الكلام ،فالإبداع في النحو هو سرّ الإعجاز إذ يقول: "إذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه لم يبقى إلا أن يكون الاستعارة ...وإذا امتنع ذلك فيها لم يبقى إلا أن يكون في النظّم والتأليف لأنه ليس من بعدما أبطلنا أن يكون فيه إلا النظّم".[2]

وبهذا كله فإن الجرجاني قد تصور مفهوم النحو وموضوعه تصوراً مثيراً لم يعد فيه النحو نظاما سكونياً ،بل نظاماً مرنا يتلون بلون كل جنس من أجناس القول،ويثبت أيضا أنه لا وجود للنظّم أو الأسلوب دون نحو،فقد أعاد للغة مكانتها ،وبيّن قدراتها العجيبة على تأدية المعاني ،فالنحو عنده ليس ذلك العلم الذي يبحث في أواخر الكلمات ،إنما هو ذلك العلم الذي يكشف لنا عن المعاني.

2-مفهوم البلاغة:

أ-لغة: البلاغة في مفهومها اللغوي تعني :"بلغ الشيء يبلغ بلوغاً و بلاغاً وصل و انتهي،و أبلغهُ هو إبلاغاً و بلّغه تبليغاً."[3]

[1]- عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز،ص77.
[2]- المرجع السابق،ص299-300.
[3]-ابن منظور،لسان العرب ،ص143.

أما الزمخشري (ت538هـ) فقد عرف البلاغة :"بلغ،أبلغْه سلامي و بلّغه و بلّغت ببلاغ الله،بتبليغه،و بلغ في العلم المبالغ:و بلغ الصبي،و بلغ الله به فهو مبلوغ به .و بلغ منى ما قلت،وبلغ منه البلّغين و البلغين."[1]

ب-اصطلاحا:

أشار ابن منظور(ت711هـ)بقوله:"البلاغة،الفصاحة،و البلغُ و البلْغُ:البليغ من الرجال،ورجل بليغ و بلْغ و بلْغ حسن الكلام فصيحة،يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه،و الجمع:بلغاء و قد بلُغ بالضم،بلاغة،أي صار بليغا وقوله بليغ،بالغ وقد بلغ."[2]

فقد اختلف علماء البلاغة قديما في تحديد مفهوم البلاغة حيث أورد ابن رشيق القيرواني(ت456هـ) في كتابه "العمدة" مجموعة من التعاريف منها:تعريف ابن المقفع للبلاغة حيث سئل ما البلاغة؟ فقال:"اسم لمعاني تجري في وجوه كثيرة:فمنها ما يكون في السكون،ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة،ومنها ما يكون شعراً،ومنها ما يكون سجعاً،ومنها ما يكون ابتداء،ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خطباً و منها ما يكون رسائل،فعامة هذه الأبواب الوحي فيها و الإشارة إلى المعني،و الإيجاز هو البلاغة."[3]

قال أبو الحسن على بن عيسى الرماني(ت386هـ) :"أصل البلاغة الطبع،و لها مع ذلك آلات تعين عليها وتوصل للقوة فيها،وتكون ميزاناً لها ،و فاصلة بينها و بين غيرها،وهي ثمانية أضرب:الإيجاز و الاستعارة،و التشبيه، و البيان،و النظم،و التصرف، و المشاكلة، و المثل."[4]

[1]-الزمخشري ،أساس البلاغة،ص75.
[2]_ابن منظور،لسان العرب،ص144.
[3]-ابن رشيق ،العمدة، تحقيق د:محمد قرقران ،دار المعرفة،بيروت،ط1،1988،ج1،ص420.
[4]-المرجع نفسه،ص419.

فهذا القول يوضح مميزات و خصائص علم البلاغة،و التي بواسطتها يمكننا أن نميزها عن باقي العلوم الأخرى،إذ يمكن من خلال هذه الأضرب التمعن و الدقة في فن البلاغة.

إن لفظة البلاغة تطلق على الكلام و على المتكلم ولا نقول للكلمة المفردة على أنها بليغة وورد في كتاب البلاغة الاصطلاحية معنى بلاغة الكلام أنها تعني"مطابقته لمقتضي الحال مع سلامته من العيوب المخلة بفصاحته و فصاحة أجزاءه"[1].

ويوضح معنى مقتضى الحال،على أنه:"هو ذلك الأمر الزائد الذي اعتبره المتكلم في كلامه،لاقتضاء الحال إياه."[2]

بمعنى أن يراعى المتكلم المقام أو السياق،الذي هو فيه.

أما بلاغة المتكلم"هي ملكة راسخة في نفس صاحبها،يتمكن بها من تأليف كلام بليغ،في أي معنى يريد،و صاحب هذه الملكة،بليغ وإن ينطق ،أي بليغ بالقوة،فإذا نطق و كتب كان بليغا بالفعل..."[3]

بمعنى أن بلاغة المتكلم،هي ملكة موجودة في الذهن،يمكن من خلالها أن يألف كلام بليغ بمختلف السياقات.

❖البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني:

إن البلاغة عند الجرجاني(ت474ه) تعنى:"أنها مترادفة مع الفصاحة و البيان ،و البراعة، لا تتصف بها المفردات،و إنما يوصف بها الكلام، بعد توخي معاني النحو فيما بين الكلم،وقد نبه الجرجاني إلى ذلك بقوله:" فصل في تحقيق القول على البلاغة و الفصاحة و البيان و البراعة و كل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا و تكلموا و

[1]-عبده عبد العزيز قلقيلة،البلاغة الاصطلاحية،دار الفكر العربي،القاهرة،ط3،1999،ص32-33.
[2]-المرجع السابق،ص33.
[3]-عبده عبد العزيز،البلاغة الاصطلاحية،دار الفكر العربي،القاهرة،ط3،1992،ص33.

أخبروا السامعين عن الأغراض و المقاصد ،ورموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ،و يكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم".[1]

فمن خلال هذا القول تتضح أن البلاغة تترادف مع مفاهيم كثيرة منها: الفصاحة،البيان،البراعة،

حيث تخص الكلام و ليس الكلمة المفردة.

وما يعكس كذلك تشابه البلاغة والفصاحة قول الفخر الرازي ،في نهاية الإيجاز : "وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة و الفصاحة ،بل يستعملونها استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد،في تسوية الحكم بينهما ".[2]

فقول الفخر الرازي(606هـ) يعكس إمكانية أن نعتبر البلاغة والفصاحة هما وجهان لعملة واحدة ،ويرى عبد القاهر الجرجاني أيضا إلى " أن البلاغة و الفصاحة ،يرجعان إلى المعنى دون اللفظ ،أو العكس أي يرجعان إلى اللفظ دون المعنى ،وقد حاول الخطيب القز ويني أن يجمع بين كلامي الجرجاني بحمل كلامه حيث نفى أن الفصاحة والبلاغة من صفاته اللفظ على نفى أنهما من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ،حيث أثبتت أنهما من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب ."[3]

وإنهما عنده في نظم الكلام التي يعني توخي معاني النحو فيما بين الكلم ،وذلك كالتقديم والتأخير.

ولقد خطى الإمام عبد القاهر الجرجاني خطوات عظيمة للنهوض بعلم البلاغة إلى الأمام حتى وصل إلى مرحلة النضج و الاكتمال في شكله المرموق ،لذلك نجده في كتابيه "الدلائل والأسرار يقيم أسس البلاغة الواضحة متميزة المعالم ،محددة الصفات ، حيث يرى أن علوم البلاغة هي علم واحد تترابط مع بعضها بعض،وتتآلف تحت مسمى واحد ألا وهو علم البلاغة وخصائصه الجمالية،وبذلك يكون عبد القاهر الجرجاني قد أثرى البلاغة العربية إثراء عظيما .

[1]-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص35.
[2]- الفخر الرازي ،في نهاية الإيجاز ،تحقيق أحمد سيجازي سقا،دار الجيل ،بيروت،ط1،ت1992،ص37.
[3]- عبد المتعالي الصعيدي ،البلاغة العالية،مكتبة الآداب ومطبعتها ،ط2،ت1991،ص9.

فمن خلال ما تقدم رأينا صورة عامة عن البلاغة التي تعني في مجملها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال،مع فصاحته،و الذي يختلف باختلاف سياق الكلام،فمقام التنكير و التقديم يباين التعريف و التقصير ومقام الفصل يباين مقام الوصل ...الخ من المقامات التي تحتوي عليه البلاغة."[1]

3-مفهوم النظّم:

أ-لغة:جاء في معجم لسان العرب:"نظم :النظم :التأليف ،نظمه نظمًا و نظّاما و نظمه ،فانتظم وتنظم،ونظمت اللؤلؤ،أي جمعته في السلك والتنظيم مثله،ومنه نظمت الشعر

ونظّمته ،و نظم الأمر على المثل ،و كل شيء قرنْته بآخر ،أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته."[2]

أما في قاموس الجديد للطلاب:" نظم ينظم تنظيمًا ،اللؤلؤ،أو الشعر، نظَمَهَا:الأمر :رتبته و النظم من المنظوم الكلام الموزون المُقَفى ،و خلاف النثر".[3]

و الزبيدي في تاج العروس:"و النظم و التأليف ضمّ الشيء إلى شيء قرنته بآخر فقد نظمته."[4]

ب-اصطلاحا:

والتعريف الاصطلاحي ليس بعيداً عن التعريف اللغوي حيث إن"النظّم هو تأليف الكلمات و الجمل مع ترتيب للمعاني و تناسب للدلالات،و في الشعر هو التأليف الشعري،بحيث تركّب الألفاظ و تتسق وفق وزن شعري مألوف،وهو العروض يتبع فيه مؤلفه نسقاً دقيقاً و قواعد محدودة من ترتيب الكلمات،نحوياً و مراعاة التفعيلات،و تكرير القافية في القصيدة الواحدة،مع الروي المستمر."[5]

---

[1]-ينظر :الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،دار الجيل،بيروت،لبنان،د ط،د ت،ص5.
[2]-ابن منظور،لسان العرب،ص686.
[3]-علي بن هادية وآخرون،القاموس الجديد للطلاب،معجم عربي،ألفبائ،ج7،تقييم محمود المسعدي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،دط،1991،ص1232.
[4]-محمد مرتضى الزبيدي،تاج العروس،ج9،دط،دار صادر،بيروت،دت،ص7.
[5]-محمد التوني،معجم علوم العربية،ط1،دار الجيل،لبنان،ت2003،ص486.

ومن خلال هذا القول يتضح أن النظم هو تناسب الألفاظ مع معانيها بصفة عامة ،و في الشعر بصفة خاصة،حيث تأتي مفرداته مرتبة ترتيب يستند لقواعد نحوية و هذا لغرض تحقيق غرض دلالي .

"و النُظم هو حُسنُ ترتيب الكلمات في الجملة ،بحيث تكون كل كَلمة في محلها المُناسب لها،و هو يقوم على معاني النحو والبلاغة ."[1]

وهذا يشير إلى أن النظّم وقوع الكلمات في أماكنها المناسبة لها،لغرض تحقيق معنى دلالي داخل التركيب،وهذا لا يتحقق إلا من خلال الربط بين النحوي و البلاغة.

وترد كلمة النظّم عند الجاحظ(ت255هـ) مرادفة للتأليف فقد وضح ذلك بقوله:"إن الرسول صلى الله عليه و سلم تحدى البلغاء،و الخطباء،و الشعراء بنظمه و تأليف، فالجاحظ في صدد بيان مدى قوة النظّم عند الرسول(ص) وقدرته على مواجهة فئة البلغاء و الخطباء و الشعراء."[2]

فهو أول من فتح بابا للنظم إذ توصل أن هناك علاقة وطيدة بين الاستعداد الفطري و اكتساب اللغة فالإنسان له استعداد ليكتسب اللغة عن طريق الممارسة والتدريب ، كما أن النظم يظهر في حسن الكلام وفي السمع ،وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس .

ويشير أبو الحسن علي بن عيسى الرماني(ت986هـ) " عن التلازم وعن حسن الكلام في السمع،وسهولته في اللفظ ،وتقبل المعنى له في النفس لما يرد من حسن الصورة ".[3]ونراه يستدل بقوله " أن أعلى مرتبة في حسن البيان ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد "[4].وفي حديثنا هذا فإن أهم نقطة عند هذا العالم حديثه عن النظم ،حيث يقول : "دلالة الأسماء و الصفات متناهية فأما دلالة

[1]-صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني،دار عمان،ط3،ت2008،ص95.
[2]-ينظر :الجاحظ ،البيان و التبيين،شرح عبد السلام هارون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ج1،ط7،ت1998،ص303.
[3]- صالح بلعيد،نظرية النظم ،د ط،دار هومه للنشر،الجزائر ،2002،ص102.
[4]- عبد المنعم خفاجي وآخرون ،الأسلوبية والبيان العربي ،د ط،دار المصرية اللبنانية ،د ت ،ص112.

التأليف فليس لها نهاية، كما أن الممكن من العدد ليس له نهاية يوقف عندها لا يمكن أن يزداد عليه "[1].

أما رؤية الخطابي(ت388ه) للنظم فإنه أن يكون في أحسن التأليف مضمنا أحسن المعاني حيث يقول : "إن عودة هذه البلاغة التي تجمع له هذه الصفات ،هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها ،فصول الكلام موضعه الأخص والأشكل به ،إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبديل المعنى الذي يكون منه،فساد الكلام وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة ".[2]

ويبرز الخطابي بنية الكلام بالاعتماد على ركائز ثلاث هي لفظ حامل ومعنى به قائم ورابط لهما ناظم ثم يحاول محاصرة فكرة البناء التكاملي فيصوغ لها مصطلحات " النظم ،التأليف،التلاؤم التشاكل" .

ولقد كان للباقلاني (ت403ه) رأي في النظّم ،ويظهر ذلك في كتابه "إعجاز القرآن "حيث يرى أن القرآن معجز بأسلوبه ونظمه البديع وأثره في النفوس، كون نظمه خارج عن جميع وجوه النظم في كلام العرب من شعر ونثر " فأما شأن نظم القرآن فليس له مثال يحتذي عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب والشيء القليل العجيب ."[3]نفهم من خلال هذا القول أن القرآن الكريم هو النموذج المثالي في النظّم، إذ لا يمكن مقارنته بأي نوع أدبي مهما كانت بلاغته وتناسقه .

والخلاصة من هؤلاء جميعا أنهم تحدثوا عن النظّم دون أن يفصلوا فيه ، ودون الحديث عن مفعوله الكلامي.

ويشير عبد القاهر الجرجاني كثيرا في كتابه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة حيث بَيَّن مفهوم النظّم :"و الألفاظ لا تفيد حتى تُؤَلف ضرباً خاصاً من التأليف ،و يَعْمَدُ بهاإلى وجه دون آخر من

[1]- صالح بلعيد، نظرية النظم ،د ط، دار هومه للنشر ،الجزائر،2002،ص102.
[2]- عبد المنعم محمد الخفاجي وآخرون،الأسلوبية والبيان العربي، ص46.
[3]-المرجع نفسه،ص ن.

الترتيب و التركيب ،فلو أنّك عَمَدتَ إلى بيت شعري أو فصل نثري فَعدّدت كلماته عدًّا كيف جاؤوا و أبطلت نظامه الذي عليه ، و فيه أفرغ المعنى و أجرى ،و غَيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد عما،و بنسقه المخصوص المراد به."[1]

ومن هنا ندرك أن ثمة صلة وثيقة بين المعنى للنظّم و المعنى الاصطلاحي له، فالمعنى المشترك بين اللغة و الاصطلاح هو ضمّ الشيء إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد.

❖ النظّم عند عبد القاهر الجرجاني:

لم يكن مصطلح النظّم غريباً عن التراث النقدي،بل كان مصطلحاً متداولاً لدى البلاغيين أمثال الجرجاني الذي استطاع أن يطور ما جاء به من إضافات نوعية مكنته من أن يؤسس من خلال النظّم،للقانون الذي يؤطر النص،حيث حدد مفهوم النظّم من خلال ثلاث دلالات أساسية متكاملة تشكل في مجموعها المفهوم المفتاح في نظريته،وهذه الدلالات نجدها من خلال نصوص في كتابه دلائل الإعجاز إذ يقول في أحد نصه:"ومعلوم أن النظّم ليس سوى تعليق الكلم بعضها ببعض،و جعل بعضها بسبب من بعض...وإذا نظرنا في تلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً،أو تعمد إلى اسمين،فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر،أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفة للأول،أو تأكيداً،أو بدلاً منه أو تجئ إلى اسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة أو حالاً أو تمييزاً."[(2)]

ومعنى ذلك أن الدلالة التي يحيل عليها هذا النص هي أن النظّم نسق أو نظام أو تعليق للوحدات المشكّلة لبنية الجملة أو النص حيث ترتبط مكونات النص بروابط و علاقات كالفاعل والمفعول والحال أو ما سوى ذلك من العلاقات.

[1]-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص101.
[2]-المرجع نفسه ،ص ن.

و أن النظم عنده هو النحو الذي يحقق ترابط بنية النص و اتساقها حيث يقول في نص آخر:"أن النظّم توخي معاني النحو في معاني الكلم و أن توخيها في متون الألفاظ محال."[1]

ويوضح هذا النظّم عند عبد القاهر الجرجاني أنه نظام معاني النحو ،وترتيب الجمل و الكلمات في موضع صحيح يخدم المعنى الدلالي.

ويؤكد أيضا رأيه بأن نظم الكلام لا يتم بوضع بعض دون توخي المعاني النحوية "ويبيّن أن وضع الكلمات في النظم يتخير لها المواقع و تتم فيها الصنعة حسب ما يتوخى فيها من معاني النحو، فقد يفسد المعنى،ليس نقل الكلمات من مكانها في النظم فحسب و إنما عدم مراعاة أحكام النحو فيما بينها فما النظم في الحقيقة إلا توخي هذه المعاني و تعلق الذهن بها."[2]

ويرى أيضا أن النظم قائم على الأساس النفسي و أن الحكم في الترتيب بين المعاني و الألفاظ على مستوى المتكلم إذ يقول الجرجاني:"قد ترى أحدهم يعتبر حال السامع فإذا رأى المعاني لا تترتب في نفسه إلاّ بترتيب الألفاظ في سمعه ظن عند ذلك أن المعاني تتبع الألفاظ،و أن الترتيب فيها مكتسب من الألفاظ و من ترتيبها في نطق المتكلم،وهذا ظن فاسد ممن يظنه،فإن الاعتبار ينبغي أن يكون بحال الواضع للكلام،و المؤلف له،و الواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع،و إذا نظرنا علمنا ضرورة أنه محال أن يكون الترتيب فيها تبعاً لترتيب الألفاظ ومكتسب عنه، لأن ذلك يقتضى أن تكون الألفاظ سابقة للمعاني ،وأن تقع في نفس الإنسان أولاً ثم تقع المعاني من بعدها و تاليةً لها."[3]

وبذلك لا يصبح الغرض بنظم الكلم كما يرى الجرجاني بل الألفاظ تتوالى في النطق وأن تتناسق دلالاتها و معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل و في نظائر ما وصفوه بفساد النظم و عابوه من

[1]-المرجع نفسه،ص153.
[2]-أحمد شامية ،خصائص العربية و الإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ت1995،ص134.
[3]-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص392.

جهة سوء التأليف أن:"الفساد و الخلل كانا من أن تعاطي الشاعر ما تعاطاه...على غير الصواب وضع في تقديم أو تأخير أو حذف وإضمار...مما ليس له أن يصنعه."[1]

ويقول في كتابه أسرارا البلاغة:"فأسرف في إبطال النظام ،و إبعاد المرام وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة ،ولكن بعد أن يراجع فيها باباً من الهندسة ،لفرط ما عاد بين أشكالها وشدّة ما خالف بيّن أوضاء ها."[2]

فسبب الفساد يرجع إلى تجمع معاني النحو من جهة و عدم التمكن من التشكيل الذي يوائم فيها بين الألفاظ و المعاني و الأعراض التي تساق من أجلها من جهة أخرى.

وبهذا يشير عبد القاهر الجرجاني إلى مرحلتين في إنتاج الكلام حيث تتمثل في مرحلة الخطأ و الصواب،و مرحلة الفضيلة و المزيّة،حيث تتعلق الأولى بالقواعد النحوية بمعناها الخاص أي بمدى توافق الكلام إذ يقول:"و الصورة المثالية كما ترسمها قواعد النحو التقعيدي ،وهو صورة افتراضية أكثر منها واقعية ."[3]

وتتعلق الثانية بالمستوى الواقعي الظاهر أي السطحي إذ يقول:"الذي يخلق فيه المبدع تراكيب،و هيأت و تأليف من خلال إمكانات النحو."[4]

أما نظم الكلم في بنية لغوية تركيبية،فليس مجرد ضمّ اعتباطي،أو ربط تحكمي لا ضابط له إذ إنّ النظم المقصود هنا:"ليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء و اتفق".[5]

إنما هو النظم الذي يقتضي فيه أثر"المعاني المرتبة في النفس المنتظمة فيها على قضية العقل".[6]

---

[1]-المرجع نفسه،ص125.
[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمد محمود شاكر،القاهرة،مطبعة المدني ،ط1،ت1991،ص26.
[3]-محمد عبد المطلب،البلاغة و الأسلوبية،ص49.
[4]المرجع نفسه،ص50.
[5]-عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز،ص97.
[6]-أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني،ص14.

فهو نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض لأن عملية التعبير كما يراها عبد القاهر الجرجاني عملية قصدية يسعى القائم بها إلى أداء معنى كلى في ذهن السامع لا معاني مفردة إذ يقول:"إذ كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن نريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى

و معنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم بها السامع شيا لا يعلمه ،و معلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تُكلمه بها فلا تقول :"خرج زيد"،لتعلمه معنى "خرج" في اللغة و معنى "زيد"،كيف و محال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف؟".[1]

كما يرى أيضا أن هذا كله يحيل إلى أن الإعجاز في النص يكمن في نظم الكلام لا بالكلم المفردة فهو يبيّن لنا النسق الذي تعرض عليه الألفاظ داخل النظّم إذْ يقول:"و نعود إلى النسق فنقول:فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عددناه لم يبقى إلى أن يكون في الاستعارة...و إذا امتنع ذلك فيها لم يبقى إلاّ أن يكون في النظم و التأليف".[2]

وفكرة النظم هي خلاصة آراء عبد القاهر الجرجاني اللغوية و البلاغية،فاللغة عنده مجموعة من العلاقات المتفاعلة التي يربطها نسيج من المشاعر و الأحاسيس حيث يوضحه النظم الذي هو صياغة الجمل و دلالتها على الصورة.

[1]-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص315.
[2]-المرجع نفسه،ص299-300.

الفصل الثّانـــــــي

التقديم و التأخير في الجملة الفعلية عند عبد القاهر الجرجاني

التقديم و التأخير في الجملة الفعلية عند عبد القاهر الجرجاني:

يقوم النظام اللغوي للغة العربية على المحافظة على رتبة الخاصة بالنسبة إلى أجزاء الكلام التي تقوم على أساس تقدم الفعل على الفاعل و المفعول و الأمر نفسه بالنسبة إلى الجملة الاسمية المبتدأ متقدم عن خبره ،إذ لا تغير الألفاظ مواقعها إلا بموجب قواعد خاصة مثلا: قواعد التقديم و التأخير الذي يفرضه السياق ،ومن خلال هذا المنطلق حرص عبد القاهر الجرجاني على تبيان مدى أهمية هذا المبحث في الدراسات النحوية و البلاغية إذ يقول :"هذا باب كثير الفوائد ،جمّ المحاسن ،واسع التصرف،بعيد الغاية ،لا يزال يفتّر لك عن بديعة ،و يفضي بك إلى لطيفه،ولا تزال ترى شعراً يروقك مسْمَعه ،و يلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ،أن قدّم الشيء وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[1].

أي أن الجرجاني يوضّح لنا أهمية أسلوب التقديم و التأخير،إذ نجد إلا التعابير الإبداعية الراقية ،التي يضفي عليها جمالا فنيا، ليكون آلية في القول يتم فيها تقديم ما أريد التنبيه عليه ،و الالتفات إليه ،ويتأخر ما يبدو أقل شأنا من الموضوع المقدّم ، فقد رد الجرجاني التقديم إلى فعل النيّة ،وهو مصطلح نتخذه مرادفاً لمصطلح القصد .

أ_تقديم على نية التأخير:

" وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه و في جنسه الذي كان فيه...كالمفعول إذا قدمته على الفاعل ،كقولك: "ضرب عمرا زيد "،ومعلوم أن عمرا لم يخرج بالتقديم عما كان عليه ،كون ذلك مفعولاً و منصوباً لأجله كما يكون إذا أخرت ". [2]

في هذا النوع من التقديم و التأخير كما يراه الجرجاني تحتفظ بوظائفها النحوية ،فلا يؤثر

[1]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ،ص156.
[2]- المرجع نفسه، ص ن.

تقديم ولا تأخير ،فإذا حدث تحويل اللفظ "منطلق "،في قولنا " زيد منطلق "عن رتبته الأصلية التي كان فيها إلى رتبة أخرى سياقية تأليفية ، فنقول: "منطلق زيد "، فإن هذا اللفظ يحتفظ بوظيفته النحوية و بموقعه في البنية مع تقدمه ، ولذلك ينوي فيه التقديم و التأخير.

ب- التقديم لا على نية التأخير:

" أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم ،وتجعل له بابا غير بابه ،وإعراباً غير إعرابه "[1]،فعبد القاهر الجرجاني ،يرى أن اللفظ المقدم أو المؤخر يفقد موقعه النحوي ،ومن حكمه الذي كان عليه ،ليحل محلهما موقعهما موقعه الجديد في البنية التركيبية،والفرق الواضح بين الوجهين أي تقديم على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير ،أن الأول تحتفظ الألفاظ بحكمها الإعرابي وتؤدي دلالتها ذاتها ،بينما في الوجه الثاني فالأمر مختلف حيث تستبدل المواقع الإعرابية .

وكما سبق الذكر أن النظام اللغوي للغة العربية يقوم على أساس المحافظة على رتبه الخاصة ،وتقدم جزء على جزء آخر(الفعل على الفاعل)،يعود أساساً إلى كونه أهم من الآخر ،ويعتبر عنصر العناية والاهتمام أصلاً في كل تقديم، إلا أن الوقوف عند حدودها أمر يقصر مبحث التقديم والتأخير لهذا يجب ألاّ نتخذه كأهم عنصر في التقديم والتأخير،"ولكي يوضح الجرجاني اقتصار بعض النحاة في أمر التقديم والتأخير للعناية والاهتمام جاء بقول سيبويه "كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم ،وهم بشأنه أعنى ،وإن كان جميعاً يهمانهم وبعنايتهم ".[2]،ويعنى ذلك أنه قد تكون أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال.

[1]- المرجع السابق،ص143 .
[2]-المرجع السابق،ص145 .

ومن الانتقادات التي وجهها عبد القاهر الجرجاني للنحاة الذين لا يرون في التقديم إلاّ العناية والاهتمام حيث يجعلون الكلام على ضربين،إذ يقول: "واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر الشيء وتأخيره قسمين ،فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض ،وأن يعلل تارة بالعناية و أخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب ،حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدّل تارة ولا يدّل أخرى ،فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل في كثير من الكلام أنه اختصّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال ،ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء أن يدعى أنه كذلك في عموم اللفظ من غير معنى في بعض، فما ينبغي أن يرغب عن القول به".[1]

وما أشار إليه الجرجاني أنه لا يمكن أن يكون التركيب الواحد تارة ذو فائدة ، في مقام وغير مفيد في آخر ،لأن الجملة المتناسقة بين اللفظ والمعنى تكون دلالاتها عامة.

" ويقرّ الجرجاني أن مثل هذه القضايا لا يمكن لأحد الامتناع عن التمييز بين تقديم ما قدّم فيها وترك تقديمه ،وأوضح بشيء في ذلك الاستفهام بالهمزة فمثلا لو قلت: "أفعلت ؟" أي بدأت بالفعل كان الشك فيه ، وكان هدفك من استفهامك هو معرفة وجوده ،أما إذا كان البدء بالاسم نحو: " أأنت فعلت "، فالشك هنا في الفاعل ، والأمثلة التي أوردها الجرجاني في كتابه كثيرة منها: "أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه؟ " ،فكلها تبدأ بالفعل لأننا بصدد السؤال عنه والشك في الفعل ذاته ،أما إذا كان البدء بالاسم نحو: "أأنت قلت هذا الشعر "، فشك في هذا المثال ، ليس في الفعل بل في الفاعل ."[2]

[1]- المرجع السابق،ص146.
[2]- ،المرجع السابق ،ص147.

فالجرجاني يبرز الفرق الموجود بين البدء بالفعل أو الاسم في همزة الاستفهام ،فإذا كان البدء بالفعل كان الشك في الفعل ذاته، أما إذا كان البدء بالاسم كن الشك في الفاعل نفسه.

ومما هو معلوم أنه " لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم ،ومن الأمثلة التي أوردها قوله

" أقلت شعراً قط؟ "، أرأيت اليوم إنساناً؟ "، فالكلام في هذه الجمل تام ومستقيم ،على خلاف ذلك إذا قلنا "أأنت قلت شعراً قط ؟"،أأنت رأيت إنساناً؟ "، "فأنت أخطأت " ، فلا دلالة لسؤال عن الفاعل ،لأن ذلك يجعل الفرد يتخيل إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو"من قال هذا الشعر؟"ومن بني هذا الدار ؟"، وما أشبه ذلك من الأمثلة...حتى يسأل عن فاعله"[1].

وما يلاحظ على عبد القاهر الجرجاني أنه تناول الجملة في ثلاث صور أو فصول وهي: فصل في التقديم والتأخير في النفي ،والذي يتفرع إلى تقديم الفعل أو الفاعل في النفي ، تقديم المفعول وتأخيره على الفعل في النفي، تقديم الجار والمجرور في النفي ،أما الفصل الثاني فهو يتعلق بالاستفهام الذي يدخل على الجملة الفعلية ،و الغرض منه هو تبيان مدى معرفة المتكلم لدلالات التركيب وما تطلبه الصياغة ويقتضيه النظم.

1_ التقديم و التأخير في النفي:

إن الانطلاق في هذه القضية يكون بتناول أمثلة توضح مسألة التقديم والتأخير ،في مختلف الحالات وشيء من التفصيل نجد:

1-1 تقديم الفعل أو الفاعل في النفي:

يشير عبد القاهر الجرجاني إلى أن تقديم، الفعل على الفاعل في النفي يعمل على عودة النفي على الفعل دون الفاعل ،موضحاً ذلك بقوله: "إذا قلت (ما فعلت)، كنت نفيت عنك

[1]-المرجع السابق ،ص147.

فعلاً لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت (ما أنا قلت)،كنت نفيت عنك فعلاً يثبت أنه مفعول،تفسير ذلك أنك إذا قلت (ما قلت هذا)،كنت نفيت أن تكون قد قلت ذاك ،وكنت نظرت في شيء ثبت أنه مقول ، وكذلك إذا قلت "ما ضربت زيداً "،كنت نفيت عنك ضربه ولم يجب أن يكون قد ضرب ،بل يجوز أن يكون قد ضربه غيرك ،وأن لا يكون قد ضُرب أصلاً،وإذا قلت " ما أنا ضربت زيداً "لم تقله إلاّ وزيد مضروب ،وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضارب ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفي عاماً كقولك"ما قلت شعراً قط "، "و ما أكلت اليوم شياً "، "وما رأيت أحداً من الناس ".ولم يصلح في الوجه الثاني فكان خُلفاً أن تقول " ما أنا قلت شعراً قط "،وما أنا أكلت اليوم شياً "،وما أنا رأيت أحد من الناس "وذلك لأنه يقتضي المحال وهو أن يكون هاهنا إنسان قد قال " كلّ شعر في الدنيا ،وأكل كلّ شيء يؤكل ،ورأى كلّ أحد من الناس فنفيت أن تكونه".[1]

ومن الأمثلة التي أعطاها الإمام عبد القاهر الجرجاني عن تقديم الاسم والفعل وهو قول الشاعر: "وما أنا أسّقمت حسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا ".[2]

ويقدم أيضا تعليقا حول هذا البيت قائلاً: " المعنى كما لا يخفى على أن السقم ثابت موجود وليس القصد بالنفي إلى أن يكون هو الجالب له ،ويكون قد جرّه إلى نفسه ".[3]

فإذا قلت" إنما جاءني زيد،فإنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي ،وذلك شبيه بالمعنى في قولك " جاءني زيد لا عمرو ،ومزية إنما هي أنك تعقل معها إيجاز الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة ،إضافة إلى أنها تجعل الأمر ظاهرا في أن الجائي "زيد" وهذا ما لا ينطق على عبارة " جاءني زيد لا عمرو ،لأنها تحوى " لا العاطفة" التي تثير

[1]-المرجع السابق ،ص153-154.
[2]- هذا البيت من البحر المتقارب ،للمتنبي في ديوانه،بشرح العكبري ،95/2 وسارقات المتنبي،لابن سام النحوى،45،والكناش في النحو والصرف لأبي الفداء167/1،والإضاح للقزويني 53/2.
[3]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص156.

الشبهة والشّك في ذهن المخاطب ،والمعروف أن لا " العاطفة "تنفي عن الثاني ما وجب للأول ،أي تنفي أن الفعل الذي قلت أنه كان من الأول قد كان من الثاني دون الأول.

1_2:تقديم المفعول وتأخيره على الفعل في النفي :

إن تناول عبد القاهر الجرجاني لهذا الضرب لا يختلف عن الضرب السابق ،فقد كانا على

المنوال نفسه ،إذ بيّن أن تقدم الفعل على المفعول في النفي يدل على وقوع النفي على الفعل دون المفعول ،أما الحالة التي يقع فيها النفي على المفعول دون الفعل يكون في حال تقدم المفعول على الفعل ،فهو يقول: " فإذا قلت : (ما ضربت زيداً) ،فقدمت الفعل كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون وقع ضرب منك على زيد ولم تعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات وتركته مبهما محتملا،وإذا قلت (ما زيداً ضربت) ،فقدمت المفعول كان المعنى على أن ضرباً ،وقع منك على إنسان وظن أن ذلك الإنسان " زيد "، فنفيت أن يكون إياه فلك أن تقول في الوجه الأول " ما ضربت زيداً "، ولا أحداً من الناس " ، وليس لك ذلك في الوجه الثاني فلو قلت "ما زيداً ضربت ولا أحدا من الناس "، كان فاسداً على ما مضى في الفاعل"[1]

ويرى أيضا أنه: " يصح لك أن تقول "ما ضربت زيداً، ولكني أكرمته "،فتعقب الفعل المنفي بإثبات فعل هو ضده ،ولكن لا يصلح أن تقول "ما زيداً ضربت ،ولكني أكرمته "، وذاك أنك لم ترد أن تقول : لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك ،ولكنك أردت أنه لم يكن المفعول هذا ، ولكن ذاك فالواجب إذن أن تقول " ما زيداً ضربت ولكن عمراً ".[2]

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الجرجاني حدد لنا أوجه الخطأ ، وأوجه الصواب في مبحث التقديم و التأخير ، فيقدم لنا التراكيب السليمة التي وقع فيها تقديم المفعول به على

[1]- المرجع السابق،ص157.
[2]-المرجع السابق،ص ن.

الفعل ، في حين يرفض التراكيب الأخرى التي تتعارض معنوياً مع هذا الغرض ، ولقد جعل عبد القاهر الجرجاني عنصر المعنى هو الفيصل في قبول تركيب أو رفضه.

3_1 تقديم الجار والمجرور في النفي:

إن الطريقة التي سار فيها الإمام عبد القاهر الجرجاني في تقديم الجار والمجرور في النفي كانت الطريقة السابقة نفسها، وقد أشار إلى القواعد النحوية التي تحكم الجار مع المجرور

كانت الطريقة السابقة نفسها ،وقد أشار إلى القواعد النحوية التي تحكم الجار مع المجرور خلال تطبيقنا لآلية التقديم والتأخير ،بقوله: "وحكم الجار مع المجرور في جميع ما ذكرنا حكم المنصوب ،فإذا قلت " ما أمرتك بهذا "،كان المعنى على النفي أن تكون قد أمرته بذلك ولم يجب أن تكون قد أمرته بشيء آخر ،وإذا قلت "ما بهذا أمرتك "، كنت قد أمرته بشيء غيره "[1]،يتضح لنا مما سبق أن تقديم الفعل في النفي ،على الجار والمجرور هو نفي للفعل في الجملة دون وجوب نفي هذه الأسماء المجرورة ،أما تقديم الجار والمجرور فهو نفي الأسماء المجرورة ،وليس أن يكون نفياً للفعل .

2_التقديم والتأخير في الاستفهام:

يرى عبد القاهر الجرجاني في هذا الشأن عنصر الاستفهام الذي وظّفه في الأنماط النحوية للجملة ،حيث يبيّن أن الاستفهام بالهمزة : " موضع الكلام على أنك إذا قلت "أفعلت؟" فبدأت بالفعل كان الشّك في الفعل نفسه ،وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجُوده، وإذا قلت " أأنت فعلت "،فبدأت بالاسم ،كان الشّك في الفاعل من هو ،وكان التردد فيه، ومثال ذلك أنك تقول " أبنيت الدار التي كنت نويت أن تبنيها ؟ "أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله

[1]- المرجع السابق،158.

؟"، أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ ،تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ،لأن السؤال عن الفعل نفسه والشّك فيه ،لأنك في جميع ذلك متردِد في وجود الفعل وانتفائه "[1].

ويتبيّن من هذا القول إنه إذا قدمت جملة الاستفهام "الفعل "، فإن الشّك في الفعل ، وأما إذا قدّم الفاعل فإن الشّك في الفاعل وليس الشّك في الفعل.

أما فيما يتعلق باقتران همزة الاستفهام بالفعل المضارع حيث يقول الجرجاني: " أتفعل "؟،أو أأنت تفعل ؟" لم يخل من تريد الحال أو الاستقبال فإذا أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي،فإذا قلت " أتفعل "؟ كان المعنى على أنك أردت أن تُقرره بفعل هو يفعله،وكنت كمن يُوهم أنه يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن ، وإذا قلت " أأنت تفعل "؟ كان المعنى على أنك تريد أن تُقرره بأنه الفاعل "[2].ومن ذلك قوله تعالى { قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربيّ وآتاني رحمة من عنده ، فعُمِّيت عليكم أن لا زموكموها وأنتم لها كارهون }"سورة هود ، الآية 28 ".

وقول الجرجاني في أن " تقديم الاسم يقتضي أنك عمدت بالإنكار إلى ذات من قيل" إنه يفعل "، أو قال هو " إني أفعل " ،وأوردت ما تريده إذا قلت " ليس هو الذي "يفعل "،وليس مثله "يفعل "،ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل فقلت " أتفعل ؟" ألا ترى أن من المحال أن تزعم أن المعنى في قول الرجل لصاحب " أتخرج في هذا الوقت "؟،أتغرر بنفسك ؟ أتمضي في غير الطريق ؟ أنه أنكر أن يكون بمثابة من يفعل ذلك ، وبموضع من يجيء منه ذاك ،لأن العلم محيط بأن الناس لا يريدونه ،وأنه لا يليق بالحال التي يستعمل فيها هذا الكلام "[3].

[1]- المرجع السابق،ص147.
[2]-المرجع السابق ،ص150.
[3]-المرجع السابق، ص ن.

إذ يستفاد ممّا تقدم أن تقديم الاسم على الفعل له أغراض عديدة يفرضها السياق ،كالتعظيم في قولك "أهو يسأل فلاناً ؟".

ويرصد أيضا في هذا الباب التغيرات الدلالية التي تتولد عن اختيار الاسم مع الاستفهام ،والعدول عنه واختيار الفعل المضارع معه، كما يرصد في سياق الفعل ،تغير الدلالة بين كون الفعل المضارع للحال،وبين كونه للاستقبال، فيقول: "وإذا قد بينا الفرق بين تقديم الاسم و الفعل ماض فينبغي أن ينظر فيه والفعل المضارع...إذا قلت " أتفعل "و" أأنت تفعل"؟لم

تخل من أن تريد الحال أو الاستقبال ،فإن أردت الحال كان المعنى شبيها بما مضى في الماضي ،فإذا قلت "أتفعل"،كان المعنى على أنك أردت أن تقرره بفعل هو يفعله،وكنت ضمن يوهم أنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن ".[1] فإذا كان الفعل المضارع دالاً على الحال وألف مع همزة الاستفهام وقلت" أتفعل"؟ كان الغرض كما يراه الجرجاني تقريره بالفعل ،وتوهم بأنه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائن ،أي تجاهل له.

أما إذا تم تأليف الهمزة مع الاسم "وقلت: "أأنت تفعل "؟ كان المعنى أنّك تريد أن تقرره بأنه الفاعل ،وكان أمر الفعل في وجوده ظاهرا بحيث لا يحتاج الإقرار بأنه الفاعل"[2].

أما إذا كان الفعل في سياق الاستقبال " كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعتمد بالإنكار إلى الفعل نفسه وتزعم أنه لا يكون أو أنه لا ينبغي أن يكون".[3]

ومثال ذلك عنده قول الشاعر:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

[1] - المرجع السابق،ص151.
[2]- المرجع السابق،ص ن.
[3]- المرجع السابق،ص ن.

فالإنكار في قول الشاعر إنكار لحدود فعل القتل من رجل تهدده بالقتل،وإنكار أن يقدر ذلك ويستطيعه، لكن في حالة تقديم الاسم مع همزة الاستفهام ،وكان الفعل المؤخر عنه للاستقبال فإن الإنكار يكون موجها كما يراه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "إلى نفس المذكور وأبيت أن يكون بموضع أن يجيء منه الفعل...تفسير ذلك أنك إذا قلت " أأنت تمنعني "؟ صرت كأن قلت "إن غيرك الذي يستطيع منعي ولست بذاك".[1]معنى هذا كله أن الإنكار ليس إنكاراً للفعل في حدّ ذاته،وإنما هو إنكار لصدوره من فاعل معين ،فإذا قلت "أأنت تمنعني "؟.

فإن الإنكار ليس إنكاراً لحدوث فعل المنع في ذاته،وإنما هو إنكار لحدوثه من فاعل محدد والدليل على ذلك ما ذكره الجرجاني بقوله: "إن غيرك الذي يستطيع منعي والأخذ بيدي ولست بذاك ،ولقد وضعت نفسك في غير موضعك ".[2]

وجملة الأمر على ما تقدم من ذكر الأنماط النحوية في جملة الاستفهام ،يتبيّن أن عبد القاهر الجرجاني ركزّ على البنية الشكلية للجملة مركزاً على الاستفهام .

كل هذه الدراسات التي قام بها عبد القاهر الجرجاني لباب التقديم والتأخير جاءت متميّزة عن باقي الدراسات الأخرى وهي الأبحاث التي قام بها النحاة و البلاغيين وعلماء اللغة و الأدب...الخ، وما يثبت اهتمامه الشديد بمبحث التقديم والتأخير أنه خصص له ثمانية وعشرين صفحة من كتاب "دلائل الإعجاز "،على خلاف السابقين أمثال سيبويه وابن جني الذين لم يذكروا له غير العناية والاهتمام.

إن الجرجاني يتمتع بمقدرة تؤهله على تحليل المسائل النحوية ،ومناقشتها وهذا بإعطاء أدلة وبراهين وترتيبه للأفكار و الكشف عنها عن طريق التحليل ،وهذا ما ساعده هو ذوقه الرفيع وحسه المرهف ،فالجرجاني من خلال نظريته النظّم استطاع المزج بين علمي النحو والبلاغة

[1]- المرجع السابق،ص152.
[2]- المرجع السابق،ص ن.

وكأنهما علم واحد ،كما استطاع كذلك الجمع بين الجانب العقلي من ناحية ،والجانب البلاغي من ناحية أخرى ،فجميع الكتب التي ألفها (كدلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة ،والمقتصد...) تبقى مصدر لكثير من العلوم كعلم النحو و البلاغة و الذي من خلالهما يمكن التوغل في الكثير من المسائل والمباحث المطروحة في المجالين.

وما يمكن أن يخرج به قارئ مبحث التقديم والتأخير،هو أن تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يأتي اعتباطا في نظم الكلام،وإنما يكون من ورائه تحقيق غرض بلاغي فني ،فهي ترتبط بالقصد ولأنها من الوسائل الإقناعية التي يوظفها المتكلم في كلامه من أجل إقناع الطرف المتلقي .

خاتمـــــــــــة

الخاتمة

بعد هذه الدراسات المتواضعة من دراستنا لمنهج عبد القاهر الجرجاني ،لظاهرة التقديم و التأخير،الذي ألمع علمه بغزارته الواسعة،وسلامة ذوقه،المتعلقة بالتقديم والتأخير ،فإننا لا يمكننا أن نجزم أن هذا الموضوع أو البحث ،نال حقه كاملاً ،لأن عبد القاهر الجرجاني ذو علم واسع ،وخيال ملهم ،وأسلوب دقيق ،ولأن علمه يرتكز على أسس قراءات عميقة للموروث العربي ،من سابقيه أمثال: "سيبويه،ابن جني ،الخطابي،الرماني...الخ ،ولذلك يحمل بنا في نهاية هذا البحث ،المتواضع أن نسجل أهم النتائج التي توصل إليها البحث حيث،نوجزها في النقاط التالية:

أولا: دراسة ظاهرة التقديم والتأخير عند النحاة والبلاغيين،واختلافهم فيه ،فهذا العنصر لم يكن لرعاية الإيقاع الموسيقي ،إنما جاء مقصوداً لغرض يقتضيه المقام ،والمعنى ،والسياق،وكل تقديم وتأخير فيه جرى على حكمة بالغة،وقدرة فائقة،ليس فيه ما يفسد فيه المعنى ،وإنما فيه الواضح الجلي البليغ.

ثانيا: إن دراسات علماء الإعجاز وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني ،صاحب نظرية النظم أثبتت أن سبب إعجاز النص القرآني كامن في نظمه وطريقة بنائه ،الأمر الذي فتح النص القرآني للدرس قصد الكشف عن أسرار بلاغته ،ودلائل إعجازه.

ثالثا: إن فكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني ،حصيلة اجتهاد أوصله إلى رؤية فذة ،اهتدى إليها في عملية تفاعلية مع النص ،حيث يراها أول الأمر طريقا إلى إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم،لتصبح بعد ذلك دراسة أسلوبه واسعة النطاق لاتساق التراكيب في العربية على اختلافها وتنوعها.

رابعا: دراسته للنحو الذي خلصّ من الدراسة الشكلية،حيث لم يعد النحو لديه جافاً مقصور على الإعراب ،وإنما أصبح مقياسا يهتدي به إلى البراعة ووسيلة من وسائل الصياغة،إذ غرض النحو عنده ليس غرضاً شكلياً إعرابياً حيث لا قيمة للحركات التي تطرأ على أواخر الكلمات،حيث تنبه أيضا إلى علم النحو وعلم المعاني الذي يمثل الجانب البلاغي ،وذلك ما

يظهر في عنايته بالتركيب والمعنى منظوراً،إليهما من وجهة بلاغية نحوية ،فبعلم النحو يتحقق فهم البنية اللسانية ودلالتها ،وبعلم المعاني تتحدد أهداف وأغراض التعبير والتواصل.

خامسا: البلاغة والفصاحة ،والبيان وهي أن يؤتي بالمعنى من الجهة التي هي أصبح لتأديته،ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه،وأتم وأحرى بأن يكسبه ويظهره فيه مزية.

سادساً: تنحصر الجملة الفعلية عند عبد القاهر الجرجاني في صورتين هي النفي والاستفهام

وبذلك لا يفصل بين النحو والبلاغة ،بل يجعل النحو في خدمة البلاغة ،ويؤكد أن اللغة العربية لا ينفصل فيها المعنى عن المبنى ،وأن المزية في تخيير التركيب المناسب للمقام والحال.

وبعد فإن عبد القاهر الجرجاني يعد واضع أسس البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها،والذي على نهجه سار رجال البلاغة من بعده،وأتموا البنيان الذي رسم حدوده ومعالمه وأرسى قواعده وأركانه .

وفي الأخير الشكر لله عز وجل أولا و آخراً ،ثم الشكر لكل الذين مدو لنا يد العون سواء من بعيد أو من قريب .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن الأثير،المثل السائر،تر، أحمد الحوفي وبدوى طبانة،دار للطبع والنشر،القاهرة د ط،دت.

2-أبي الفتح عثمان بن جني،الخصائص،تح،محمد علي النجار،دار الكتب،القاهرة، ج1.

3-إبراهيم مصطفى،إحياء النحو،دار الآفاق الغربية،القاهرة،مصر،د ط،ت2003.

4-ابن السراج أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي،الأصول في النحو،تح،عبد الحسين الفتلى،لبنان،بيروت،مؤسسة الرسالة،ط4،ت1999.

5-ابن رشيق،العمدة،تح،محمد قرقران،دار المعرفة،ج1،بيروت،ط1،ت1988.

6-ابن منظور،لسان العرب،منشورات علي بيوض،ج12،دار الكتب العلمية،لبنان ط1،ت2003.

7-أحمد شامية،خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د ط،ت1995.

8-البدراوي زهران،عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني،دار المعارف،القاهرة،د ط،ت1981.

9-الجاحظ،البيان والتبيين،شرح،عبد السلام هارون،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ج1،ط7،ت1998.

10-الخطيب القزويني،الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،دار الجيل بيروت،لبنان،د ط،د ت.

11-الزجاجي،كتاب الجمل في النحو،تح،علي الحمد الأمل،د ط،ت1988.

12-الزمخشري،أساس البلاغة،تح،محمد باسل عيون السود،ج1،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،ط1،ت1998.

13-الزمخشري،الكشاف،تر،عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معّوض،دار النشر والطبع،ج2،الرياض،ط1،ت1998.

14-الزمخشري،المفصل،منشورات علي بيضون،ج1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان ط1،ت2001.

15-السكاكي،مفتاح العلوم،تح،عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1،ت2000.

16-السيوطي،الاقتراح في علم أصول،تج،محمد حسن إسماعيل الشافعي،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،ت1998.

17-الفخر الرازي،في نهاية الإيجاز،تح،أحمد سيجازي سقا،دار الجيل،بيروت،ط1 ت1992.

18-إنعام فوال عكاوي،المعجم المفصل في علوم البلاغة للبديع والبيان والمعاني،ط2،ت1996.

19-رجاء عيد،فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور،دار الناشر،منشأة المعارف الإسكندرية،ط2،د ت.

20-رضي الدين الأستراباذي،شرح كافية ابن حاجب،تح،أحمد السيّد،المكتبة التوفيقية مصر،ج1،د ط،د ت.

21-سمير نجيب اللبدي،معجم المصطلحات النحوية والصرفية،عمّان،ط1،ت1985

22-سيبويه،الكتاب،تح،عبد السلام محمد هارون،بيروت،دار الجيل،ط3،ج1،ت1991

23-صالح بلعيد،نظرية النظّم،د ط،دار هومة للنشر،الجزائر،ت2002.

24-صلاح عبد الفتاح الخالدي،إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره،دار عمان،ط3 ط3،ت2008.

25-عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،تح،محمد رضوان الداية وفايز الداية،دار الفكر،دمشق،ط1،ت2007.

26-عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة،تح،محمد محمود شاكر،القاهرة،مطبعة المدني

ط1،ت1991.عبد المتعالي الصعيدي،البلاغة العالية،مكتبة الآداب ومطبعتها،ط2،

ت1991.

27-علي بن هادية وآخرون،القاموس الجديد للطلاب،معجم عربي ألفبائ،ج7،تقييم محمود المسعدي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،د ط،ت1991.

28-عبد المنعم خفاجي وآخرون،الأسلوبية والبيان العربي،دط،دار المصرية اللبنانية، د ت.

29-محمد التوني،معجم علوم العربية،دار الجيل،لبنان،ط1،ت2003.

30-محمد عباس،الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني،دار الفكر المعاصر

بيروت،لبنان،ط1،ت1999.

31-محمد مرتضي الزبيدي،تاج العروس،ج9،دار صادر،بيروت،د ط،د ت.

32-محمد المطلب،البلاغة والأسلوبية،الشركة العالمية للنشر،لبنان،ط1،ت1994.

33-مصطفى الغلاييني،جامع الدروس العربية،دار الحديث،القاهرة،ج1،ت2005.

34-منير محمود المسيري،دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية،مكتبة وهبة،القاهرة،ط1،ت2005.

المجلات و الدوريات:

1-مصطفى ناصف،النحو والشعر قراءة في دلائل الإعجاز،مجلة1 ،العدد3، ت1981.

الرسائل الجامعية:

1-مخطوط،أحمد فرجي،التقديم والتأخير عند النحاة وشواهدهما من القرآن الكريم،رسالة الماجستير ،تلمسان،ت1993.

الفهـــــــــرس

فهرس الموضوعات الصفحة

إهداء

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة

مدخل

تمهيد.....04

1-مفهوم التقديم.....05

أ-لغة.....05

ب-اصطلاحا.....05

2-مفهوم التأخير.....06

أ-لغة.....06

ب-اصطلاحا.....06

3-مفهوم التقديم والتأخير.....07

أ-مفهوم التقديم والتأخير عند النحاة.....09

ب-مفهوم التقديم والتأخير عند البلاغيين.....12

الفصل الأول: نظرية النظّم عند عبد القاهر الجرجاني

1-مفهوم النحو.....16

أ-لغة.....16

ب-اصطلاحا.....16

ج-النحو عند عبد القاهر الجرجاني.....19

2-مفهوم البلاغة.....21

أ-لغة.....21

ب-اصطلاحا.....22

ج-البلاغة عند عبد القاهر الجرجاني.....23

3-مفهوم النظّم.....25

أ-لغة.....25

ب-اصطلاحا.....25

ج-النظّم عند عبد القاهر الجرجاني.....28

الفصل الثاني: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية عند عبد القاهر الجرجاني

-التقديم والتأخير عند عبد القاهر الجرجاني.....31

أ-التقديم على نية التأخير.....31

ب-التقديم لا على نية التأخير.....32

1-التقديم والتأخير في النفي.....34

1-1-تقديم الفعل أو الفاعل في النفي.....34

1-2-تقديم المفعول وتأخيره على الفعل في النفي.....36

1-3-تقديم الجار والمجرور في النفي.....37

2-التقديم والتأخير في الاستفهام.....37

الخاتمة.....42

قائمة المصادر والمراجع.....44

فهرس الموضوعات.....49